خروف العم صابر

قصة : د.طارق البكري
رسوم : إياد عيساوي

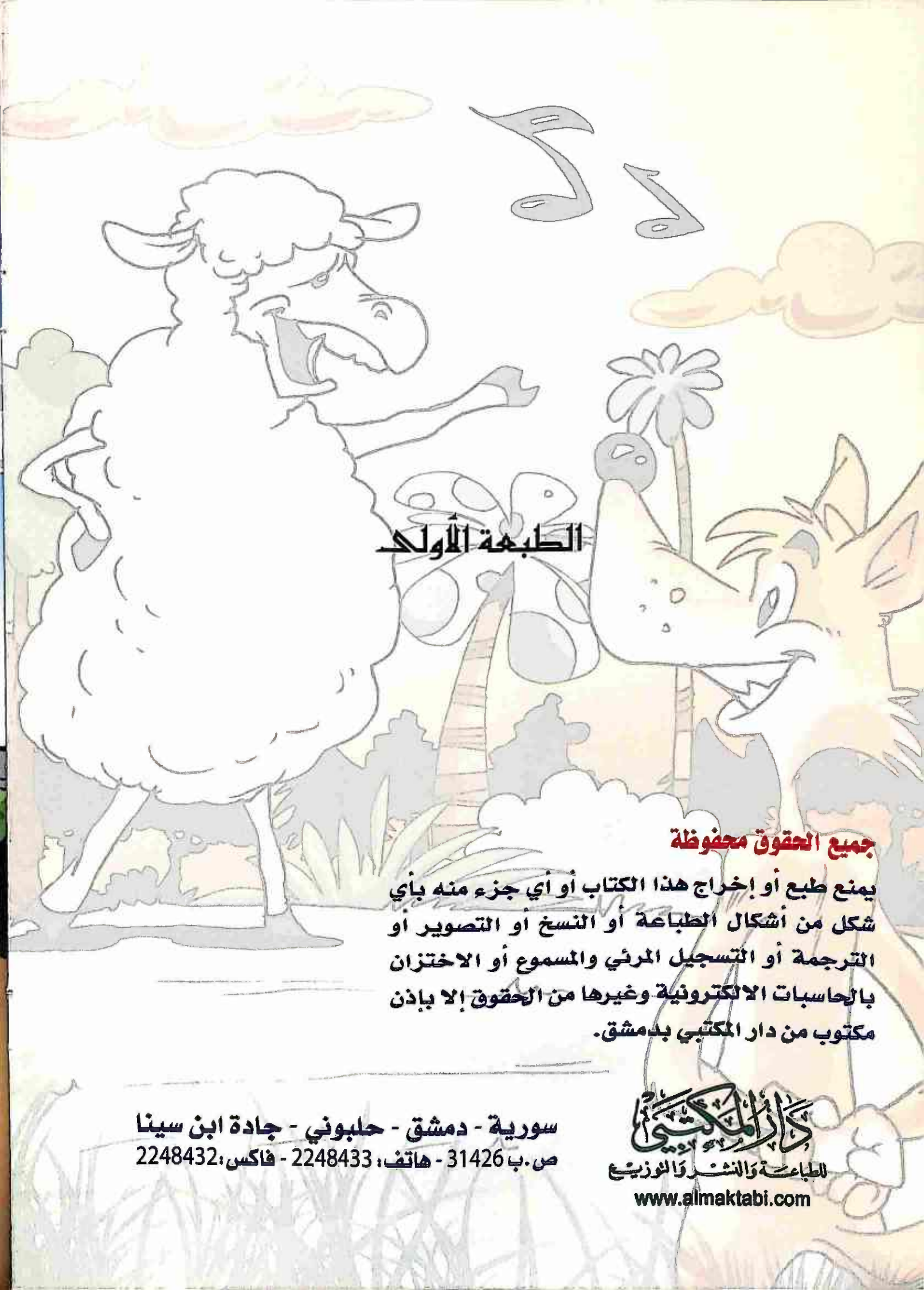

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب 31426 - هاتف: 2248433 - فاكس: 2248432

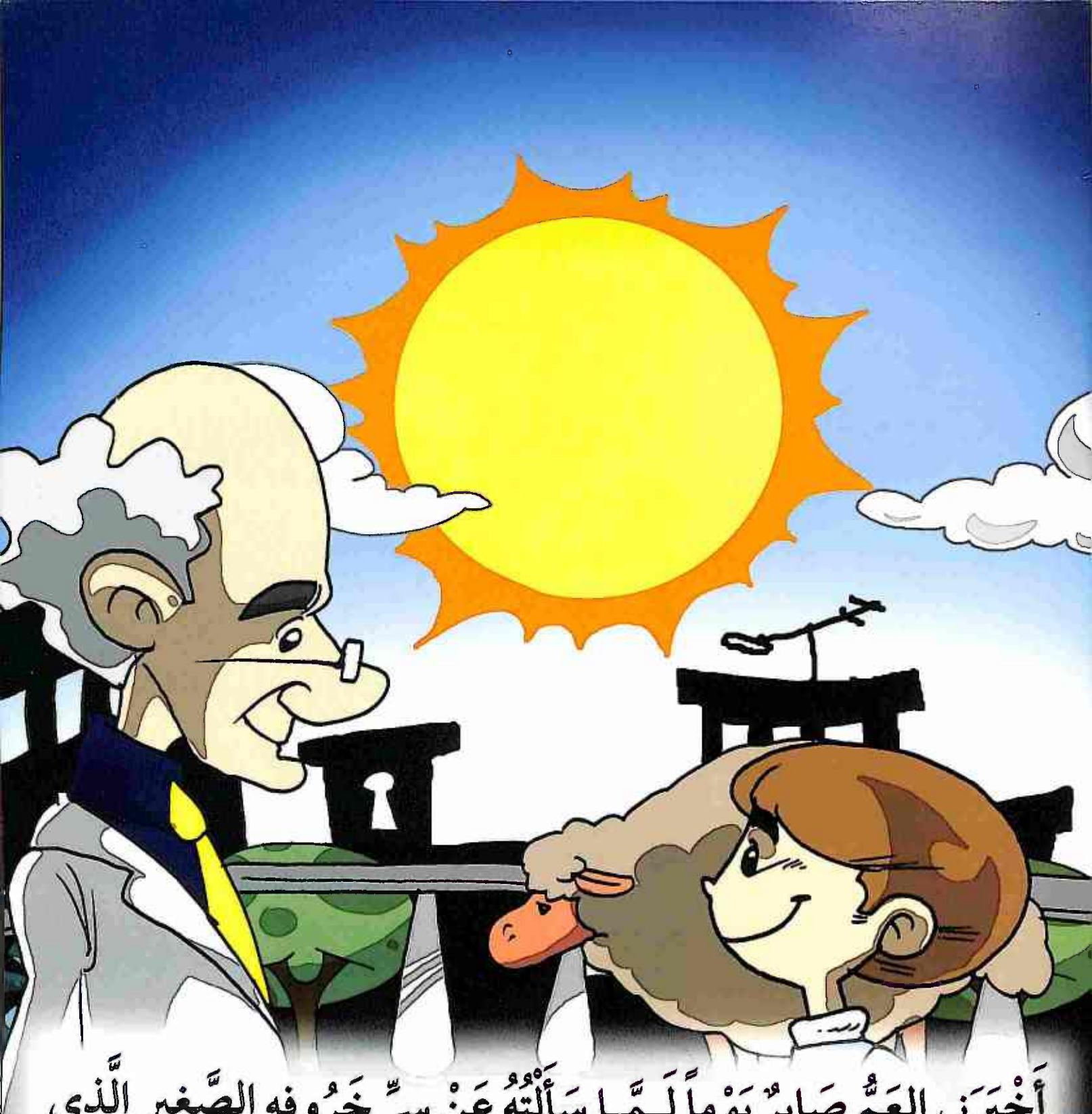

أَخْبَرَنِي العَمُّ صَابِرٌ يَوْماً لَـمَّـا سَأَلْتُهُ عَنْ سِرِّ خَرُوفِهِ الصَّغِيرِ الَّذِي يَـحْتَفِظُ بِهِ عَلَى شُرْفَةِ مَنْزِلِهِ ، أَنْ لَيْسَ لِلْخَرُوفِ سِرٌّ وَلا جَهْرٌ .. فَقَدِ اشْتَرَاهُ لِيُطْعِمَهُ وَيُسَمِّنَهُ بِيَدَيْهِ ، انْتِظاراً لِعِيدِ الأَضْحَى الـمُبَارَكِ بَعْدَ أَيَّامٍ ..

فَقَالَ العَمُّ صَابِرُ : إِنَّ الـخُرُوفَ الذَّكَرَ مِنَ الضَّأْنِ هُوَ الـحَمَلُ ،

وَإِنَّ الوَدَاعَةَ صِفَةٌ لازِمَةٌ لِلْخَرُوفِ ..

ثُمَّ تَوَقَّفَ العَمُّ صَابِرٌ عَنِ الكَلامِ .. وَقَبْلَ أَنْ أُبادِرَهُ بِسُؤالٍ قَالَ :

هُنَاكَ - يَا صَدِيقِي الصَّغِيرُ - مَثَلٌ جَـمِيلٌ يَصِفُ مَنْ يَعِيشُ فِي

رَفَاهِيَةٍ بِأَنَّه (كَالـخَرُوفِ ، أَيْنَمـا اتَّكَأَ اتَّكَأَ عَلَى صُوفٍ) ..

وَسَأَلْتُ العَمَّ صَابِراً قَبْلَ أَنْ يُتَابِعَ كَلامَهُ عَنْ جَمْعِ كَلِمَةِ خَرُوفٍ ، فَقَالَ لِي : جَمْعُهُ : خِرافٌ وأَخْرِفَةٌ وخِرْفانٌ ...

فَصِرْتُ أَضْحَكُ وَأَقُولُ : كَيْفَ تُجْمَعُ كَلِمَةُ خَرُوفٍ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الكَلِمَاتِ ؟؟!..

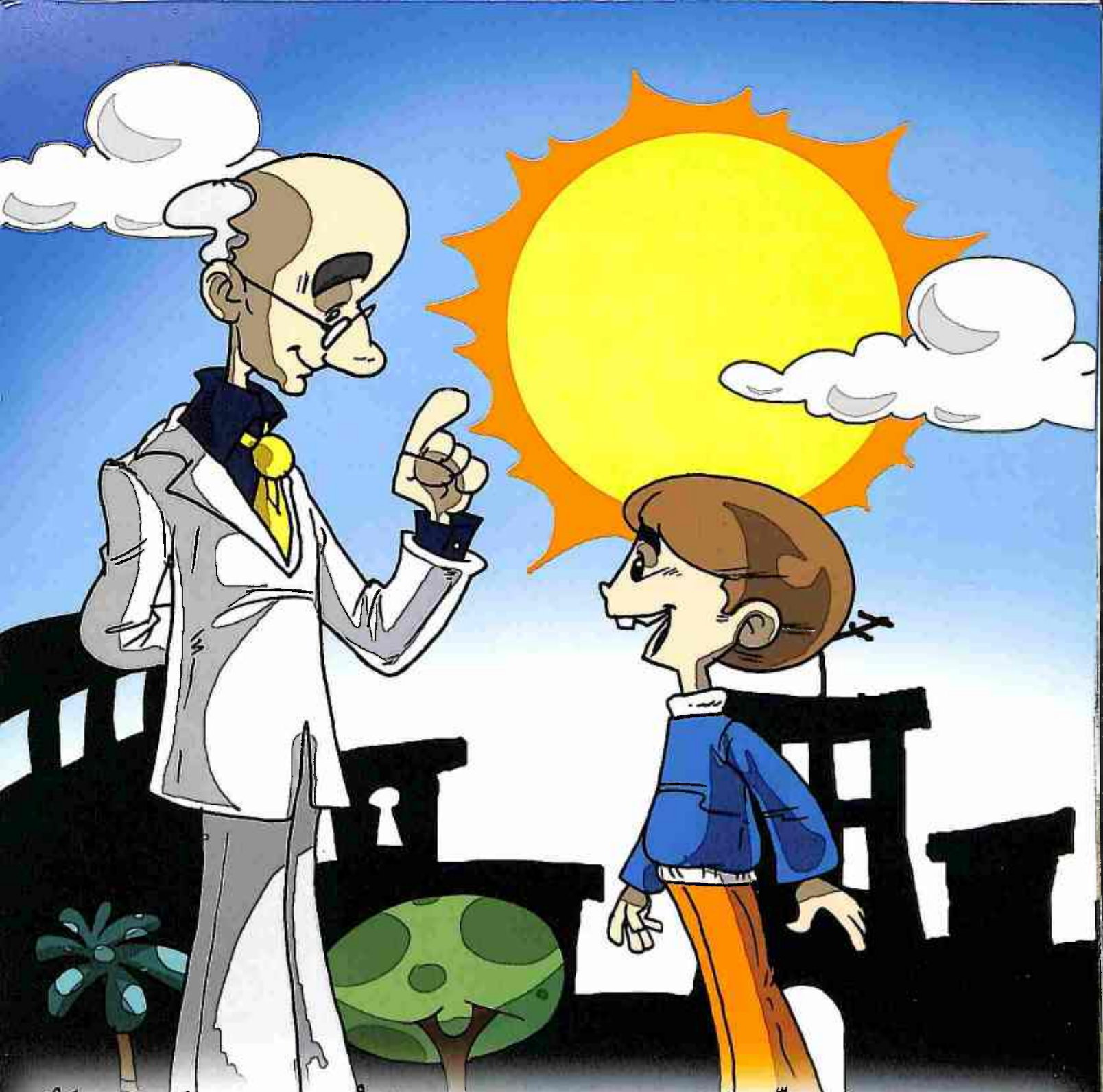

فَقَالَ مُبْتَسِماً مُعَلِّماً كَعَادَتِهِ : يَا حَبِيبِي ! إِنَّ لُغَتَنا العَرَبِيَّةَ جَمِيلَةٌ وَوَاسِعَةٌ .. وَفِيْها كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ ، عَلَيْنا أَنْ نَتَعَلَّمَها وَنُعَلِّمَها لِلْآخَرِيْنَ .. سُرِرْتُ مِنْ حَدِيثِ مُعَلِّمِي الَّذِي أُحِبُّهُ .. وَقُلْتُ لَهُ :

وَماذَا يَعْنِي لَكَ خَرُوفُ العِيدِ يَا عَمِّي صَابِرٌ؟

فَقَالَ العَمُّ صَابِرٌ : سَأَرْوِي لَكَ يَا حَبِيْبِي قِصَّةً حَقِيقِيَّةً حَدَثَتْ فِي أَحَدِ البِلادِ مُنْذُ فَتْرةٍ طَوِيلَةٍ .. وَهِيَ مِنَ القَصَصِ المَشْهُورَةِ .. وَهَذِهِ القِصَّةُ تَقُولُ : إِنَّ رَجُلاً ذَهَبَ إِلَى السُّوقِ لِيَشْتَرِيَ خَرُوفَ العِيدِ ، وَعِنْدمَا عَادَ بِهِ هَرَبَ الخَرُوفُ مِنْهُ .

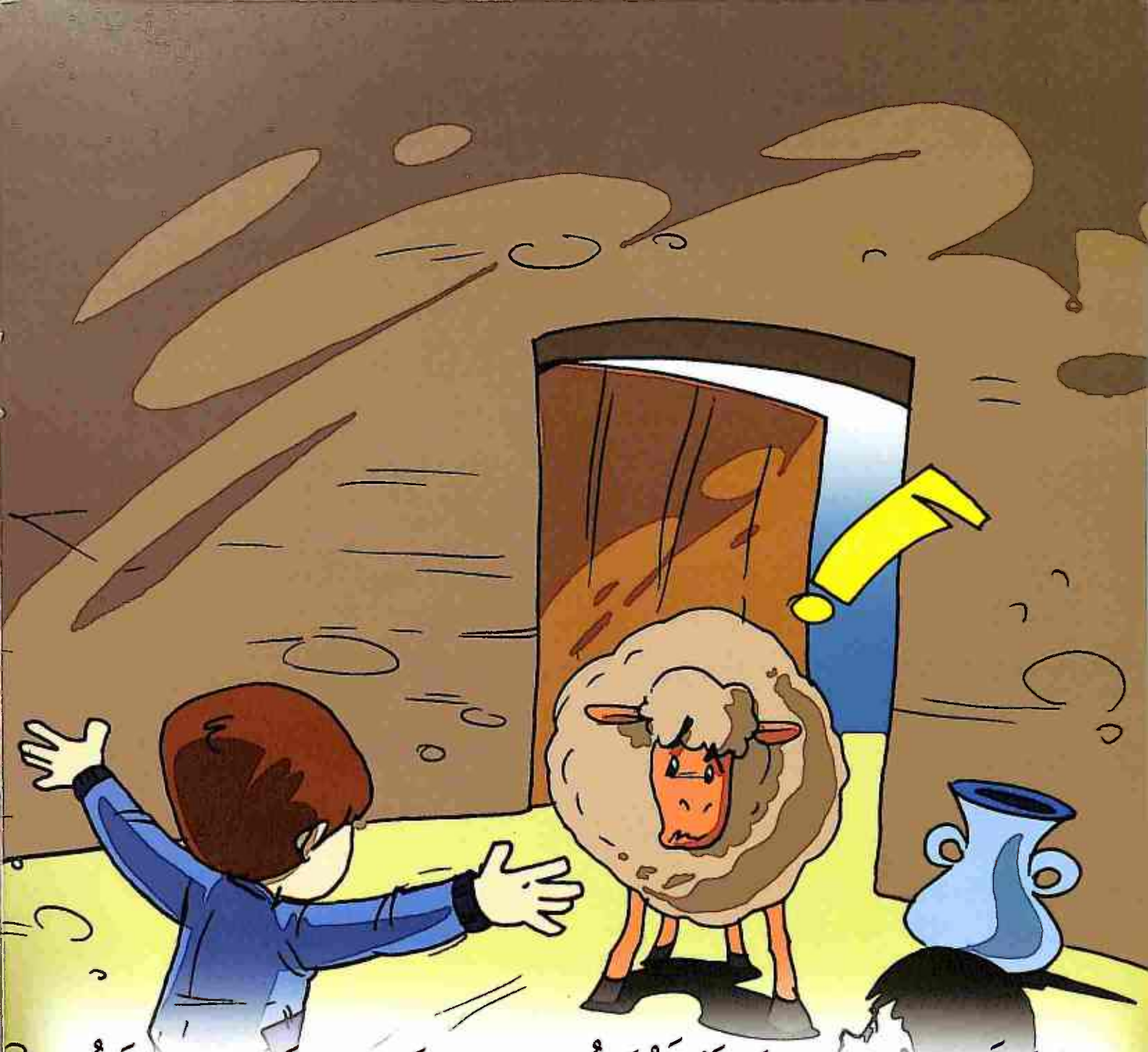

وَدَخَلَ أَحَدَ البُيُوتِ لِيُقَابِلَهُ أَطْفَالُ البَيْتِ بِالفَرَحِ وَالتَّهْلِيلِ ، وَكَانُوا يَصِيحُونَ فَرِحِيْنَ : أُمِّي.. أُمِّي.. تَعَالَيْ بِسُرْعَةٍ .. لَقَدْ جَاءَنا خَرُوفُ العِيدِ .. لَقَدْ جَاءَ خَرُوفُ العِيدِ .. وَتَتَنَهَّدُ الأُمُّ الفَقِيرَةُ - الَّتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُها وَتَرَكَ لَهَا أَطْفالاً صِغَاراً - قَائِلَةً : إِنَّ الَّذِي سَيَشْتَرِي لَكُمْ خَرُوفَ العِيدِ تَحْتَ التُّرابِ !! تَقْصِدُ أَبَاهُمْ زَوْجَها ..

وَاقْتَرَبَ الرَّجُلُ دُونَ أَنْ يَدْخُلَ ، وَسَمِعَ الأَطْفَالَ كَمَا سَمِعَ أُمَّهُم تَطْلُبُ مِنْهُمْ بِأَنْ يُساعِدُوا صَاحِبَ الخَرُوفِ عَلَى إِخْراجِ خَرُوفِهِ مِنْ بَيْتِهِمْ ؛ لَكِنَّ الرَّجُلَ رَفَعَ صَوْتَهُ قَائِلاً لِلْمَرْأَةِ : يَا أُمَّ اليَتَامَى .. الخُرُوفُ وَصَلَ لأَهْلِهِ ..

وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ دُونَ أَنْ يَنْتَظِرَ رَدّاً ..

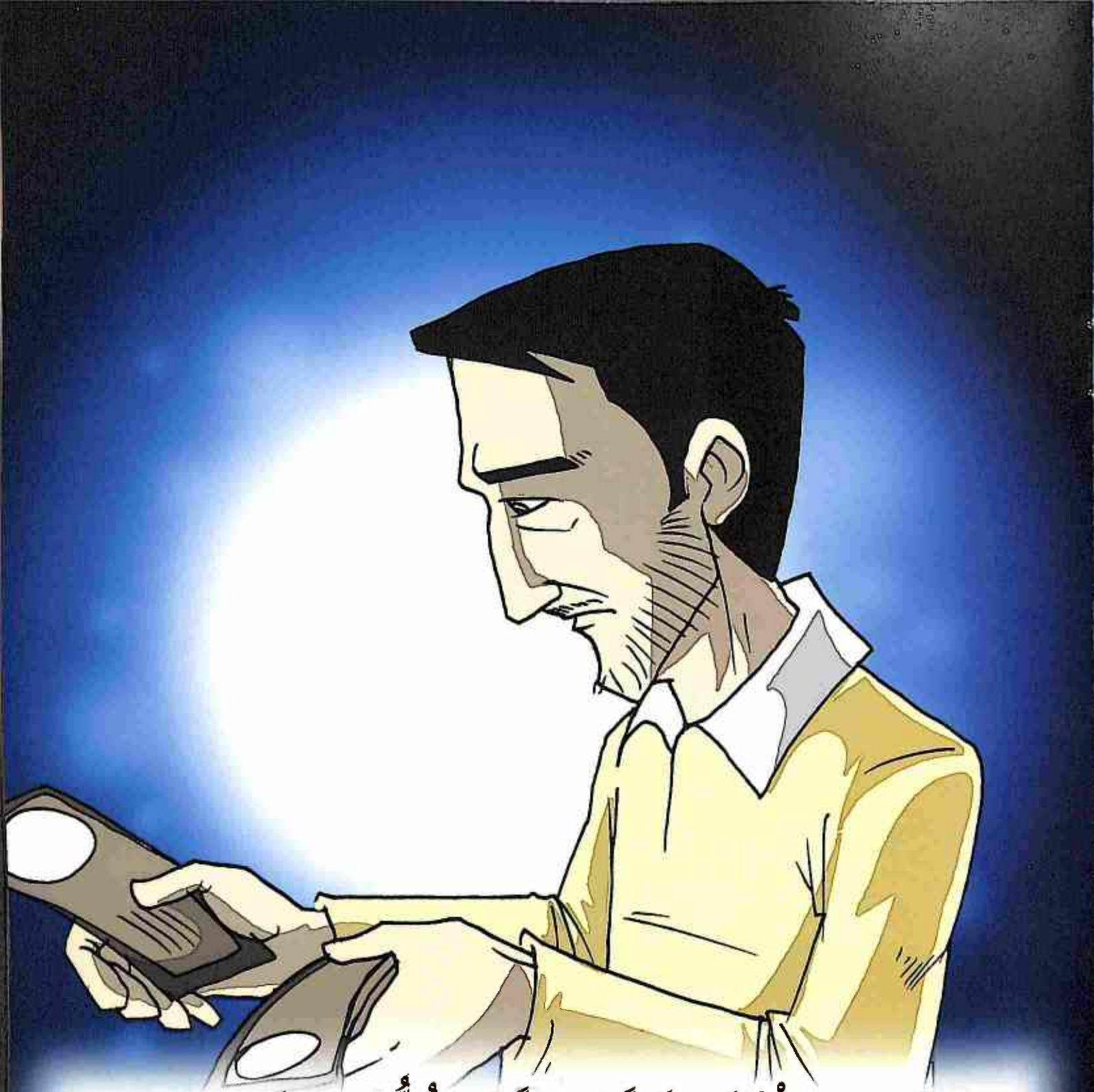

وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ لِيَأْخُذَ مَبْلَغاً زَهِيداً هُوَ كُلُّ مَا تَبَقَّى مَعَهُ ، كَانَ يَحْتَفِظُ بِهِ مِنْ أَجْلِ كِسْوَةِ العِيدِ لِأَولادِهِ .. أَخَذَهُ لِيَشْتَرِيَ بِهِ خَرُوفاً بَدَلَ الأَوَّلِ ؛ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ وَعَدَ أَبْنَاءَهُ الصِّغارَ بِأَنَّهُ سَيَذْبَحُ أُضْحِيَةَ هَذَا العِيدِ ..

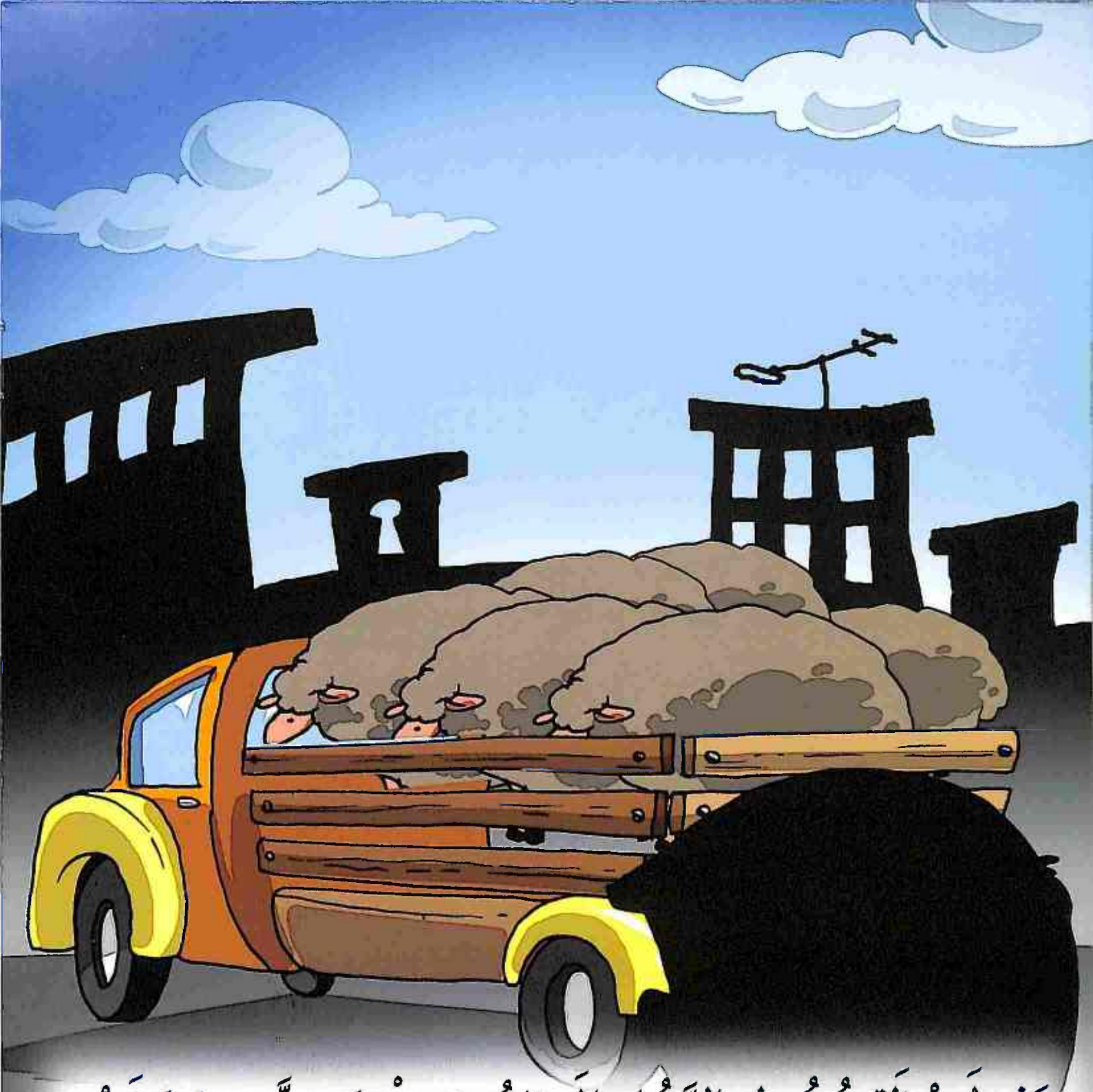

وَفي لَـحْظَةِ وُصُولِ الرَّجُلِ إِلَى السُّوقِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَصَلَتْ عَرَبَةٌ مَلِيئَةٌ بِالـخِرْفَانِ .. فَبادَرَ الرَّجُلُ بِسُؤالِ البائِـعِ عَنْ سِعْرِ الـخَرُوفِ ؟ فَأَجَابَهُ البائِعِ بِأَنْ يَنْتَظِرَ حَتَّى يَتِمَّ إِنْزالُ الـخِرْفَانِ مِنَ العَرَبَةِ .. لِيَخْتَارَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ..

وَعِنْدَما نَزَلَتِ الـخِرْفَانُ إِلَى الأَرضِ اخْتَارَ الرَّجُلُ أَحَدَهَا وَسَأَلَ عَنِ الثَّمَنِ .. فَقَالَ البَائِعُ : هَذا خَرُوفٌ غَالٍ جِدّاً.. هَلْ أَنْتَ وَاثِقٌ مِنْ أَنَّكَ تَـمْلِكُ مَالاً كَافِياً.. فَقَالَ الرَّجُلُ : اليَوْمَ يَوْمُ عِيدٍ .. وَأُرِيدُ أَجْوَدِ الـخِرافِ .. وَعَسَى أَنْ يَكْفِيَ مَالِي الَّذِي مَعِي ..

فَضَحِكَ البَائِعُ وَقَالَ : مُبَارَكٌ عِيدُكَ يَا رَجُلُ .. وَتَقَبَّلَ الله ذَبِيحَتَكَ .. فَهَذا أَجْودُ الـخِرْفانِ الَّتِي عِنْدِي .. وَقَدِ اخْتَرْتَ أَفْضَلَهَا وَأَغْلاهَا ثَمَناً .. وَهُوَ هَدِيَّةٌ لَكَ .. لَـمْ يُصَدِّقِ الرَّجُلُ مَا يَسْمَعُ .. وَقَالَ لِلْبَائِعِ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي يَا أَخِي ؟ فَقَالَ البَائِعُ : مَعَاذَ الله .. خُذْ هَذَا الـخَرُوفَ هَدِيَّةً لَكَ .. هُوَ مِنْ نَصِيبِكَ دُونَ ثَمَنٍ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ ..

فَوَقَفَ الرَّجُلُ حَائِراً مُنْدَهِشاً ... فَقَالَ البَائِعُ : لا تَسْتَغْرِبْ يَا أَخِي.. إِنَّ أَبِي هُوَ صَاحِبُ كُلِّ هَذِهِ الـخِرْفَانِ .. وَقَدْ أَوْصَانِي بِأَنْ أُهْدِيَ أَوَّلَ خَرُوفٍ يَتِمُّ اخْتِيارُهُ مِنَ الـمُشْتَرِيْنَ دُونَ مُقابِلٍ هَدِيَّةً مِنْه فِي هَذَا العِيدِ الـمُبَارَكِ .. صَدَقَةً لَوَجْهِ اللهِ تَعالَى ..

فَتَأَمَّلْتُ وَجْهَ العَمِّ صَابِرٍ وَقَدِ امْتَلأَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ .. مُتَأَثِّراً بِـهَذِهِ القِصَّةِ الرَّائِعَةِ .. ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ هَادِئٍ رَصِيْنٍ : وَهَكَذا يَا بُنَيَّ رَزَقَ الله العَائِلَتَيْنِ بِفَرْحَتَيْنِ فِي العِيْدِ .. وَالأَجْرُ لِلْجَمِيعِ .. وَنَسْأَلُ الله تَعالَى أَنْ يَـهَبَ لَـنَا مِثْلَهُمْ .. وَيَـجْعَلَ لَـنَا مِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَـخْرَجاً ..

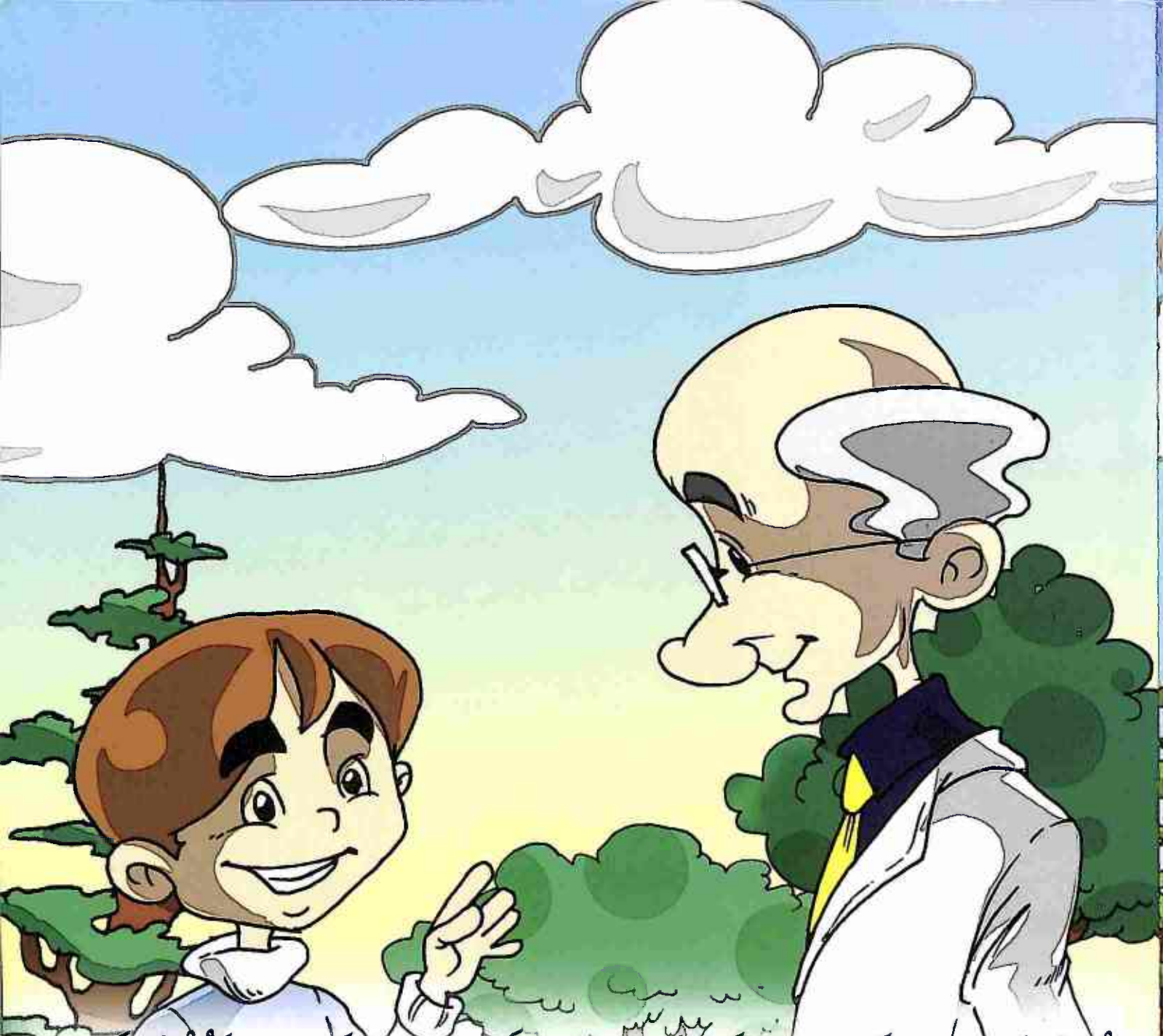

ثُمَّ قَالَ مُتَنَهِّداً : الله .. كَمْ هُوَ رَائِعٌ هَذَا العَمَلِ النَّبِيلِ .. فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَطْيَبَ قَلْبَكَ يَا مُعَلِّمِي ! فَقَالَ العَمُّ صَابِرٌ : الـمُعَلِّمُ يَا بُنَيَّ يَتَعَلَّمُ أَيْضاً .. فَقُلْتُ لَهُ مَسْرُوراً : فِي صَبَاحِ العِيدِ سَآتِي لأَشْهَدَ ذَبْحَ الـخَرُوفِ .. ضَحِكَ العَمُّ صَابِرٌ وَقَالَ : سَنَذْبَحُهُ عِنْدَ جَزَّارِ الـحَيِّ بَعْدَ صَلاةِ العِيدِ .. مَوْعِدُنَا أَنَا وَأَنْتَ وَالـخَرُوفُ هُنَاكَ ؟ .

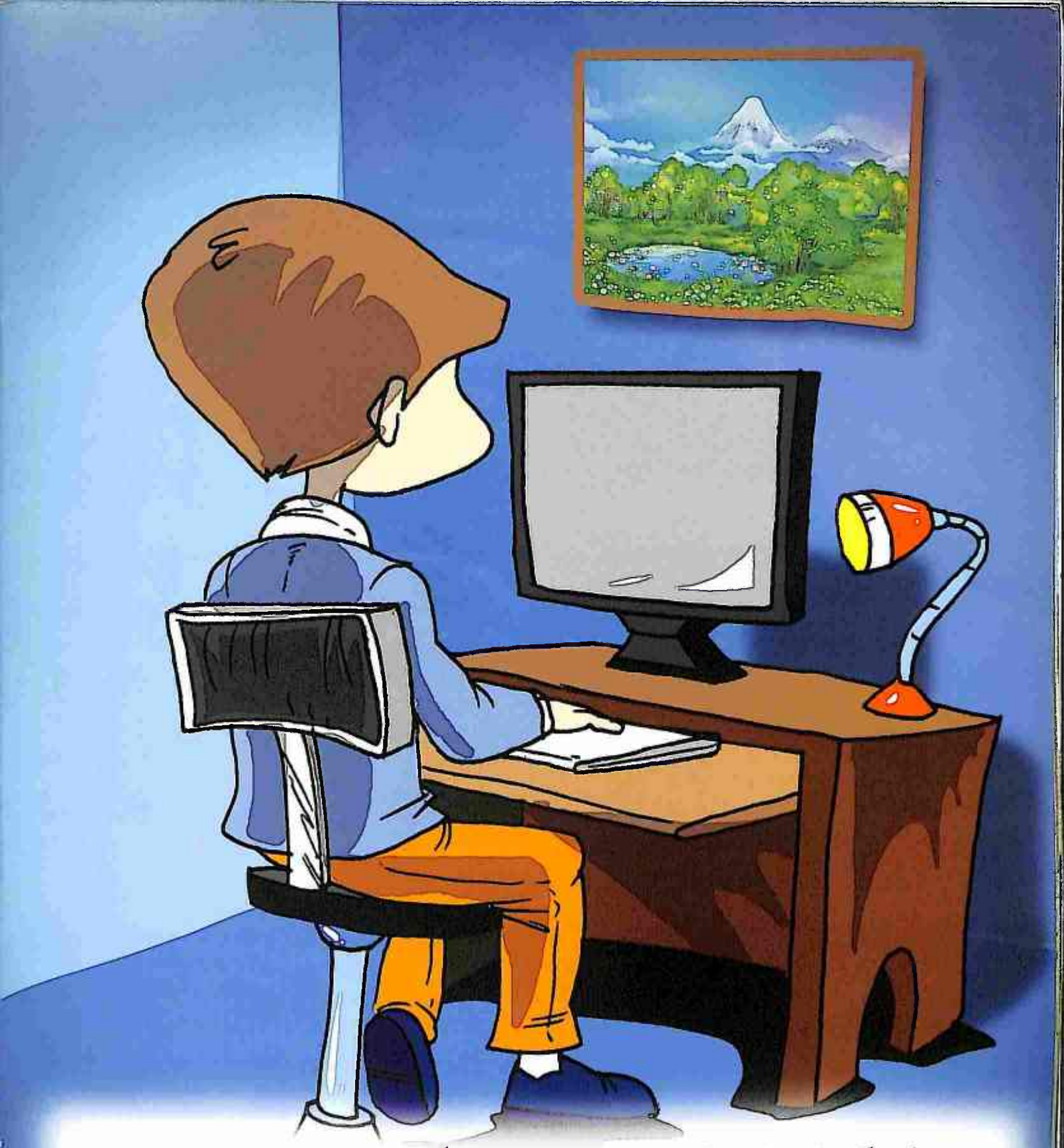

بَعْدَ ذَلِكَ عُدْتُ إِلَى البَيْتِ مُسْرِعاً أَبْحَثُ في الإِنْتَرْنِتْ عَنْ قِصَّةٍ تَحْكِي عَنِ الخَرُوفِ .. فَوَجَدْتُ هَذِهِ القِصَّةَ الجَمِيلَةَ المُعَبِّرَةَ .. فَجَلَسْتُ أَقْرَؤُهَا :

(تَأخَرَّ خَرُوفٌ عَنِ الرَّاعِي ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ ذِئْبٌ لِيَأْكُلَهُ ، فَقَالَ لَهُ الخَروفُ : إِنَّ صَاحِبي أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي ، وَلَكِنَّه أَمَرَنِي أَنْ أُغَنِّيَ لَكَ قَبْلَ ذَلِكَ .

فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ : هَلْ صَوْتُكَ حَسَنٌ ؟

قَالَ: نَعَمْ ، إِنَّ صَوْتِي يُفرِحُ الـحَزِينَ ، وَيُطرِبُ السَّامِعِينَ .

فَقَالَ لَه الذِئْبُ : إِذاً غَنِّ وارْفَعْ صَوْتَكَ .

فَرَفَعَ الـخَرُوفُ صَوْتَه حَتَّى سَمِعَه الرَّاعِي مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَقْبَلَ وَفي يَدِهِ عَصَا طَويلَةٌ ، فَلَمَّـا رَأَى الذِّئْبُ الرَّاعِيَ خَافَ وَفَرَّ هَارِباً ، وَبِـهَذِهِ الـحِيلَةِ نَجا الـخَرُوفُ مِنَ الذِئْبِ).

ثُمَّ كَرَّرْتُ البَحْثَ فَوَجَدْتُ قِصَصاً كَثِيرَةً .. مِنْها هَذِهِ القِصَّةُ الـجَمِيلةُ وَعُنوانُـها (الـخَرُوفُ الضَّالُّ) ، تَقُولُ القِصَّةُ :

مَاعْ ... مَاااعْ .... مَاااا....عْ ..

صَاحَ الـخَرُوفُ الرَّمَادِيُّ الصَّغِيرُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ .

الـخَرُوفُ الرَّمَادِيُّ الصَّغِيرُ يُنَادِي قَوْمَهُ القَطِيعَ : مَاعْ ...

مَاااعْ ...مَاااا.... عْ.. عَلِمَ أَنَّهُ ابْتَعَدَ عَنْ قَطِيعِهِ عِنْدَمَا كَانَ

يَبْحَثُ عَنْ طَعامٍ ..

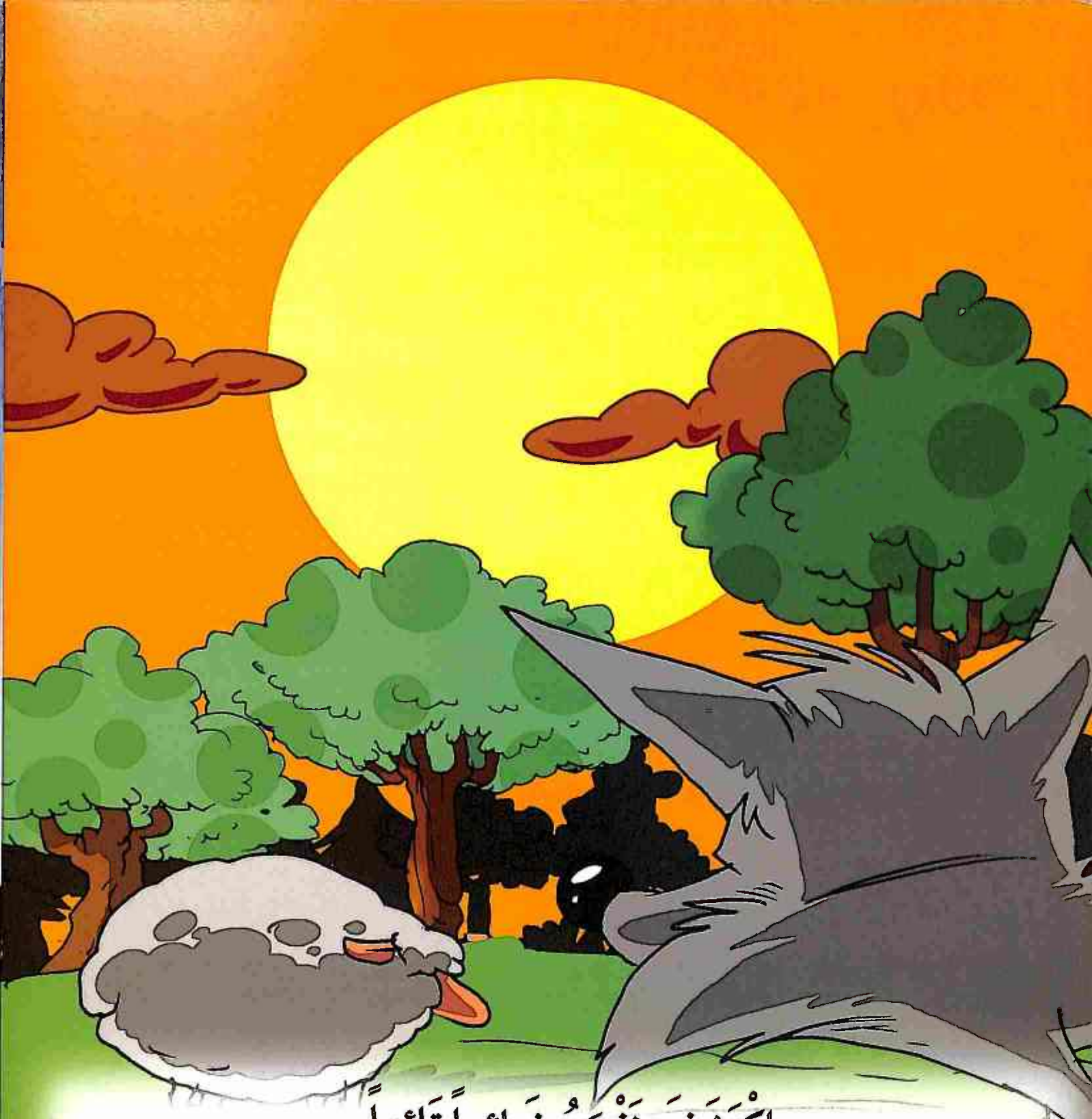

اكْتَشَفَ نَفْسَهُ ضَائِعاً تَائِهاً..

زَعِيمُ القَطِيعِ لاحَظَ غِيَابَ الـخَرُوفِ الرَّمَادِيِّ الصَّغِيرِ .. أَمَرَ مَـجْمُوعَةً مِنَ الـخِرْفَانِ بِالبَحْثِ عَنْهُ فَوْراً.. وَبَعْدَ بَحْثٍ طَوِيْلٍ سَمِعُوهُ يُنادِي خَائِفاً: مَاعْ ... مَاااعْ .... مَاااا ....عْ ..

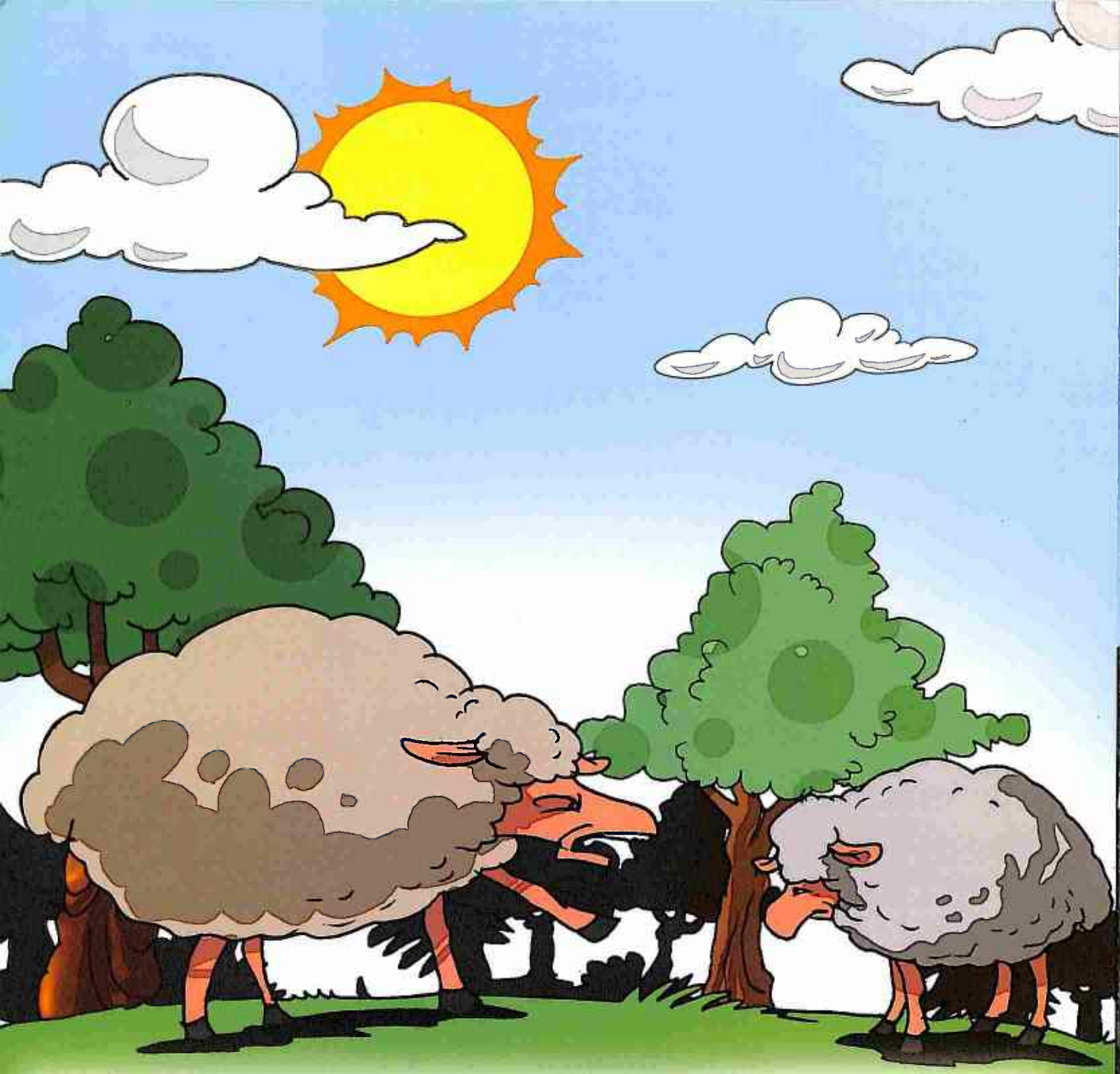

لَـمّـا رَآهُمْ لَـمْ يُصَدِّقْ أَنَّهُ نَجا مِنَ الـمَوْتِ .. الـخَرُوفُ الرَّمادِيُّ الصَّغِيرُ عادَ إِلَى قَوْمِهِ نادِماً .. زَعِيمُ القَطِيعِ أَنَّبَهُ وَحَذَّرَهُ مِنْ مُـخالَفَةِ دُسْتُورِ الآباءِ وَالأَجْدادِ مَرَّةً ثانِيَةً .. قائِلاً : الذِّئْبُ يَفْتَرِسُ مِنَ الغَنَمِ القاصِيَةِ (أَيْ الَّتِي تَبْتَعِدُ عَنْ جَـمـاعَةِ الـخِرْفانِ).

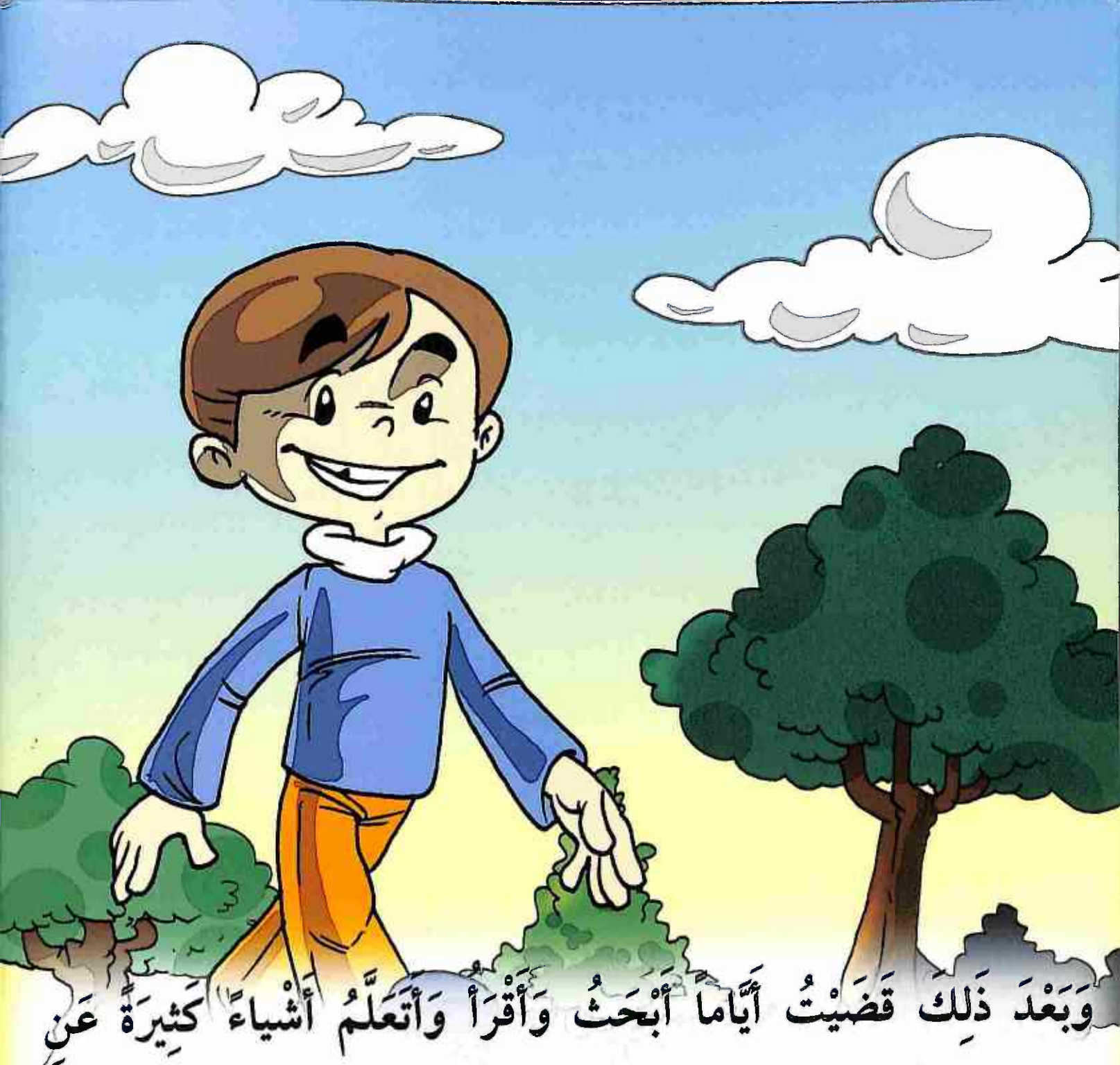

وَبَعْدَ ذَلِكَ قَضَيْتُ أَيَّاماً أَبْحَثُ وَأَقْرَأُ وَأَتَعَلَّمُ أَشْيَاءً كَثِيرَةً عَنِ الـخِرْفَانِ وَحَياتِـهَا وَقَصَصِهَا الـجَمِيلَةِ ..

وَعِنْدَمَا جَاءَ يَوْمُ العِيدِ ، وَبَعْدَ صَلاةِ العِيدِ وَتَـهْنِئَةِ الأُسْرَةِ بِالـمُنَاسَبَةِ وَالـجِيرَانِ وَأَبْنَاءِ الـحَيِّ .. اسْتَأْذَنْتُ أَبِي لأَذْهَبَ وَأُشَاهِدَ ذَبِيحَةَ العَمِّ صَابِرٍ .. وَكَانَ العَمُّ صَابِرٌ بِانْتِظَارِ دَوْرِهِ عِنْدَ جَزَّارِ الـحَيِّ ..

وَبَعْدَ ذَبْحِ الخرُوفِ .. قَامَ الجَزَّارُ بِتَقْطِيعِهِ إِلَى أَجْزَاءٍ ..
وَكَانَ مَعَ العَمِّ صَابِرٍ أَكْيَاسٌ كَثِيرَةٌ وَعَرَبَةٌ صَغِيرَةٌ .. وَضَعَ فِيهَا
الأَكْيَاسَ بَعْدَ أَنْ وَضَعَ أَجْزَاءَ الأُضْحِيَةِ فِي دَاخِلِهَا ثُمَّ قَالَ لِي:

هَيَّا جُرَّ العَرَبَةَ ..

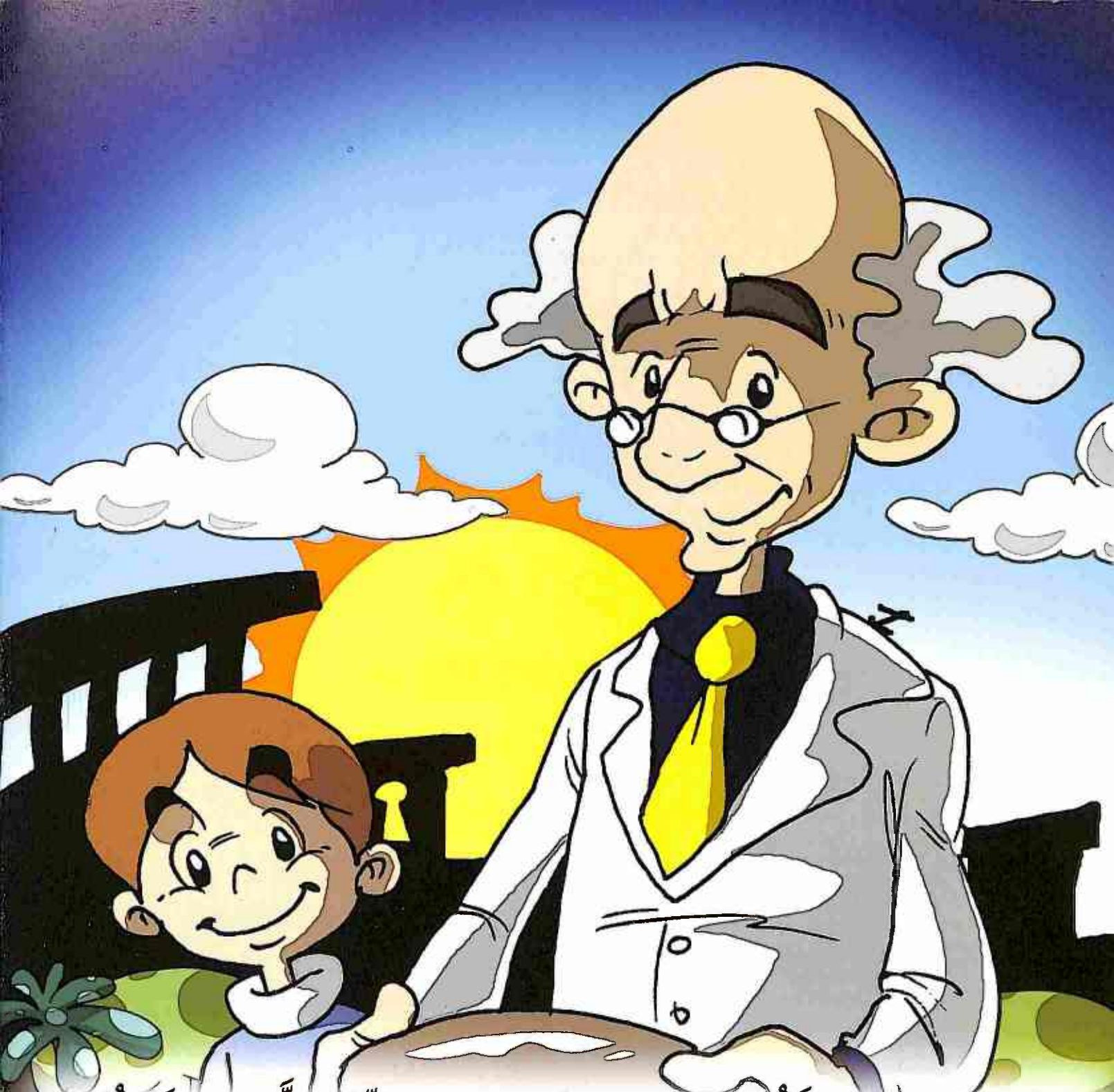

وَصَارَ العَمُّ يَتَنَقَّلُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ يُوَزِّعُ اللَّحْمَ عَلَى فُقَرَاءِ الحَيِّ .. ثُمَّ أَهْدَانِي كِيْساً .. وَقَالَ : هَذَا هَدِيَّةُ الأَصْدِقَاءِ .. فَفَرِحْتُ بِهَا .. وَصِرْتُ أَقْفِزُ مُسْرِعاً إِلَى البَيْتِ .. وَحَكَيْتُ لأَبِي وَأُمِّي وَإِخْوَتِي قِصَّةَ العَمِّ صَابِرٍ وَخَرُوفِهِ .. وَكَانَتْ حِكَايَةً لا تُنْسَى ..